عدد خاص

حلقة حماية المخطوطات العربية وتيسير الانتفاع بها

بغداد ٨ ـ ١٩٧٥/١١/١٧

المورد

مجلة تراثية فصلية . تصدرها وزارة الاعلام ـ الجمهورية العراقية ـ

المجلد الخامس

كعب بن معدان الأشقري
حياته وما تبقى من شعره .

صنعة الدكتور

نوري حمودي القيسي

يعد فقدان شعر العقيدة من الظواهر الطبيعية في ادب كل امة لما يحمله هذا اللون الادبي من سمات معبرة ، ويتصف به من صفات يلازمها الايمان المطلق بصدق العقيدة ، وتدعمها الحجة الناجحة في سلامة الاتجاه (كما يراها شاعر العقيدة) ، ومن الطبيعي ان يتعرض هذا اللون الى الطمس المتعمد ، والتزوير الشائن ، والتحريف المقصود لضياع اصالته ، وتحريف دعوته ، واخفاء معالمه . وقد عرف الادب العربي هذه الظاهرة بشكل موسع ، وبرزت ملامحها لدى بعض شعراء العقيدة بهيئة بارزة ، حتى كادت ملامح بعضها تطمس وتندثر لما رافقها من احداث .

وفي الجهة المعاكسة لهذا التيار يقف الشعر المناهض لهذا اللون الادبي يفند حججه ، ويميت حقائقه ، ويلون دعوته بلون مغاير ، ومن خلال التناقض الشعري ، والتناحر العقيدي تتالق براعة الشاعر الناجح ، وتشرق قسمات قدرته الفنية في السيطرة والاستحواذ حتى يكتب لدعوته ادبيا ان تعيش في نفوس هواتها وعشاقها تراثا شعريا وعقيدة سليمة ، وقد ادت هذه العملية المتفاعلة الى خلق ادب عقيدي واضح ، تكشف من ثنايا ابياته حقائق الدعوات ، وتبرز من بين مناقضاته اصول المواقف التي عجز التاريخ عن ابرازها . وقد خلق هذا الادب بحديه حركة ادبية واسعة اخذت صفات متميزة ، وطبعت نفسها بطابع شعري مختلف ، احتوت الالفاظ بمدلولاتها والاساليب بما كانت ترمي اليه ، والمعاني بما كانت تقصده وتعنيه . وقد امتدت ابعاد هذه الحركة الشعرية بهيئة شاملة ابتداء من الدعوة الاسلامية ، ثم بدأت اطرافها تأخذ صورا جانبية ، وتخفق بقلوب تعاظم فيها حب الدعوة ، وترسخ في طياتها تمثل العقيدة . فقدمت قوافل الشعراء وهم يرسمون الخطوط العامة ، وينشرون الاصول الواضحة ، منتخبين من تراكم الاحداث ، ليث المفهوم الساند في اذهان الدعاة ، وتقويض الحجج التي يستند اليها الخصوم ، وكانت صيحات هؤلاء الشعراء تضيع احيانا في زحمة النفوذ السياسي ، وتبدد في غمرة الاحداث في الاحايين الاخرى ، ويكتب لها البقاء في الذهن اذا وجدت من يستطيع الاحتفاظ بها .

ان الصورة الشاملة التي تمخضت عنها كل الاحداث ، وتفاعلت في اطارها شتى الدعوات استطاعت ان تمد قدرتها عبر الزمن على الرغم من قسوته ، وتمكنت من الدفاع عن وجهات النظر المختلفة التي آمنت بها . حتى اصبح هذا الفيض الشعري الذي خلفته الحركة الفكرية لا يمثل الجانب الادبي وحده ، وانما هو انعكاس حقيقي لقدرة الامة الفكرية ، ومدى استشفاف مفكريها لما تؤديه هذه الحركة من نتائج ، وتقدمه من معطيات ، وقد افلح زعماء الفكر العرب والمسلمون في هذا التصور ، واستطاعوا ان يقدموا الثمرات الفكرية التي سادت العصور ، والنتائج التي تمخض عنها الصراع الفكري من خلال النقاش الحاد الذي احتدم ، والصراع العقيدي الذي انتشرت افكاره ، وشمل جوانب الحياة بكل ابعادها .

وكعب بن معدان يمثل جزء من هذه الحركة ، لانه شاعر ، صاحب المهلب ابن ابي صفرة ، وقصر مدحه عليه وعلى ابنائه ، والمهلب من القواد الذين نهضوا لمقاومة الازارقة من الخوارج . واستمرت حروبه معهم مدة طويلة استطاع ان ينزل بهم من الوقائع ما عجز الاخرون عن انزالها . وكعب كان يشهد المعركة بوقائعها ، ويتلمس الصلابة بحقيقتها ، ويجد ضروب البسالة وهي تتحدث ، ومواقف الرجال وهي تتسعر ، وقدرتهم على المقارعة تفوق حد التصور ، والثبات على المبدأ يتجلى بالشكل الذي الم قدرته الشعرية على تصويرها ، حتى جادت قصائده وهي اناشيد بطولة تفخر بالقوة وتشيد بصلابة العقيدة ، وتمدح بالقدرة على الثبات ، وكان يسجل من خلالها حركة الجيش الاسلامي وهو يناهض خصومه ، وقوافل الفتح وهي تخترق نحوم المشركين ، وتجتاز حدود المناهضين لحركة الدعوة . حتى اصبح باستطاعتنا ان نقرا حركة الفتح من خلال قصائده ، ونتصور قدرة المقاتلين من ثنايا ابياته ، وامتداد الدعوة من خلال صوره المتناثرة في كل مقطع من مقاطعه . وقد اصطبغ شعر الفتوح بتصوير المعارك ، وانصراف الشعراء الى ابراز الجوانب التي الفوها في هذه الفتوح من تصاعد النيران الملتهبة في عتمة الليل ، واصطباغ الظلام بوشاح اللهب الذابل . وتحديد المواضع التي تم فتحها بصورة دقيقة ، واعداد المقاتلين، وما اعتراهم في كل مصر من الامصار ، وهي مصادر مهمة في دراسة التاريخ ، وتثبيت الوقائع والانتفاع من الاشارات المتناثرة لربط المسائل المتباعدة ، واحتواء الفكر الساند من خلال الاخبار التي يقدمها الشاعر وهو يصور الجوانب

المحسوسة التي لم يلتفت اليها المؤرخون في بعض الاحيان ، ولا سيما القصائد التي كان اصحابها يرافقون الحملات ، ويقفون على وقائعها . ففي اشارات كعب تتضح بعض هذه اللمحات وهو يشير الى فتح سمرقند فيقول (١) :

لو كنت طاوعت اهل العجز ما اقتسموا
سبعين الفا وعز السند مؤتنف
وفي سمرقند اخرى انت قاسمها
لئن تاخر عن حوبائك التلف
ما قدم الناس من خير سبقت به
ولا يفوتك مما خلفوا شرف

وفي اشارات اخرى يذكر فتح كرمان فيقول (٢) :

هم قادوا الجياد على وجاها
من الامصار يقذفن المهارا
الى كرمان يحملن المنايا
بكل لنية يوقدن نارا
شوازبَ ما اصبنا النار حتى
رددناها مكلمة مرارا
غداة تركن مصرع عبد رب
نثرن عليه من رهج غبارا
ويوم الزحف بالاهواز ظلنا
نروي منهم الاسل الحرارا
فقرت اعين كانت حزينا
فليلا نومها الا غرارا ..

وهناك قصائد اخرى تنعكس فيها صور الاحداث ، وتبدو من خلالها حركة التاريخ الاسلامي وهو يثبت مراكزه ويحدد مواقعه . والمسيرة العربية الرائدة وهي تخفق في ارجاء ذلك العالم البعثر ..

اما القلاع والحصون فكانت لها صور اخرى من صور الفتوح في شعر كعب ، لان الجبهة الشرقية التي توجهت اليها قوافل الفتح كانت على جانب كبير من المنعة والتحصين ، ومن الطبيعي ان تاخذ هذه الاشكال بعدها في حديث الشعراء لانها كانت مبعثا لحديثهم وهم يصورون هذه المنعة وقدرتها على الصمود ، ويتحدثون عن المقاتلين وهم يقدمون النماذج الفريدة في القدرة على اقتحامها والصبر على محاصرتها وتعد ابياته التي ذكرها في اقتحام قلعة نيزك من الابيات المشهورة في وصف القلاع (٣) .

نفى نيزكا من بالغيسَ ونيزك
بمنزلة اعيا الملوك اقتصابها
محلقة دون السماء كانها
قماعة صيف ذل عنها سحابها
ولا يبلغ الاروى شماريخها العلا
ولا الطير الا نسرها وعقابها

ومن الطبيعي ان يعلو صوت الحرب في شعر كعب ، وتتعالى السنة النار والشرر حول قوافيه ، ويلتقي الابطال المسلحين في رحاب الفاظه ومعانيه ، لانه كان يعيش احداث الحرب ، ويتلمس حرارة القتال ، ويقدر النتائج الخطيرة التي كانت تترتب على احداثها على الرغم من تنوع اهدافها واختلاف طبيعتها ، ففي حديثه عن الحرب التي اشتعلت ايام (رامهرمز) و (سابور) و (جيرفت) يقدم الاحداث بشكل يوحي بما كان يراه وسط تلك المعارك فيقول (٤) :

حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد
شبت لنا ولهم نار لها شرر
نلقى مسامير ابطالا كانهم
جن نقارعهم ما مثلهم بشر
نسقى ونسقيهم سما على حنق
مستانفي الليل حتى اسفر السحر
فتلى هنالك لا عقل ولا قود
منا ومنهم دماء سفكها هدر

وبدافع ارتباطه القبلي الاصيل ، واتصاله المتين بالوشائج القبلية فهو لم ينس قومه وهو يتحدث عن الحرب ومواطنها ، والمعارك وسطوتها ، فكان يثني عليهم بما يرفع قدرهم ، ويجعلهم خيار القوم الذين يبتغون مجدهم بالسيوف ، لانهم معاقل العز التي يلاذ بها (٥) .

في كل يوم تلاقي الازد مظلمة
يشيب في ساعة من هولها الشعر
والازدُ قومي خيارُ القوم قد علموا
اذا قرومهم يوم الوغى خطروا
فيهم معاقل من عز يلاذ بها
يوما اذا شمرت حرب لها دررُ
حيٌ باسيافهم يبغون مجدهم
ان المكارم في المكروه تبتدر

ولم يكن غريبا على كعب ان يقدم لنا صورا صادقة لمشاعره وهي تتدفق حسا وعاطفة ، فكما كان اندفاعه في تخليد مواقع الفتح صادقا ، كانت قدرته على تصوير بسالة خصومه صادقة ، وكانت مشاعره في تشبيت ولائه لآل المهلب صادقة ايضا، ولهذا كانت احاسيسه واضحة ، وصوره متميزة ، يجمعها الربط المحكم ، وتشدها الاواصر الشرقة . فمديحه آل المهلب لا يمثل المديح الذي يمكن ان يوصف به الآخرون ، لانه مديح ياخذ شكلا اخر ، مديح ينطلق من قدرة الممدوحين على التضحية، ووقوفهم على خط النار الذي يفصل بينهم وبين خصوم يتحينون بهم الفرص ، وكان يكسي المديح باردية الحرب من قدرة على الصولان ، واجتياز القلاع ، والفتك بالخصوم ، وانتزاع البصر . ويستمد من علو نسب الممدوح ، وامتداد اصله ، ورفعة منزلة اباته عناصر يستخدمها في توشيح خصاله . وهو مديح خالص لا تثيره الصلات المادية التي تعود عليها البعض ، او تقطعه النزوة التي تنتاب بعض الممدوحين فيقطعونها عن شعرائهم فتتحول الاماديح الى اهاجي ، او عتاب لاذع تتراكم فوق معانيه سحب الشك فتذهب عنه رونق الاصالة والصدق

ان كعبا الاشقري لم يعودنا مع آل المهلب قلى قول الشعر الكاذب ، او المديح القائم على اساس التكسب ، على الرغم من اكتناف هذه الظاهرة لمجموعة كبيرة من شعر المديح في تلك الفترة بحيث اصبحت سمة من سماتها .. واذا قدر له ان ينال من يزيد بن المهلب ويثلبه لما نزل عن خراسان بعد ان تولاها قتيبة بن مسلم فكعب يعلل لنا هذه الظاهرة فيقول (٦) :

يالهف نفسي على امر خطئت به
وما شفيت به غمري واحقادي
افنيت خمسين عاما في مديحكم
ثم اغتررت بقول الظالم العادي

ابلـــغ يـزيد قـرين الجـود مانكـــة
يامن كعبـــا اســـى بـــين اصـــفاد
فـــان عفـــوت فبيـت الجـــود بيتكم
والدهـر طـوران من فيّ وارشـــاد
وان مننتَ بصـــفح او ســـمحت بـــه
نزعـــت نحـــوك اطنـــابي واوتـــادي

وقد فسر الاستاذ عبدالجبار البصري(٧) هذه الظاهرة عند كعب بانه اخطأ بسبب عدم رؤيته الى ما هو ابعد من حدود اللحظة الآنية فهو لا يلفت جيده الى الوراء ليتذكر ويعطي للذكرى حقها ، ولا يتطلع للمستقبل ليعطي للمفاجآت حقها .. واظن ان الابيات التي اوردناها قبل هذا الحديث توحي بان النيل من يزيد كانت وراءه دوافع حددها بقول الظالم المادي ، وان الشاعر افنى خمسين عاما في مديح هذه الاسرة المجاهدة ، وان الراي الذي ذهب اليه الاستاذ البصري يحتاج الى تمحيص اكثر وتدقيق اشمل .

لقد استطاع كعب ان يتلمس عناصر الوفاء عند اسرة آل المهلب ، ويدرك اخلاصهم المتفاني ، وتضحياتهم الكبيرة في تثبيت الدولة العربية ، وما قدمه ابناء المهلب من بطـــولات نادرة ، واستعداد للبذل ، وتقديم صور فريدة في المقدرةالحربية كانت مثار اعجاب كثير من الشعراء والمؤرخين ، الى جـــانب اعمالهم الاخرى التي كانت تكسبهم ثقة الناس ، فالمفضل بن المهلب كان اذا اصاب مغنما في حرب او فتح ، قسمه بـــين الناس ، فكان يصيب كل رجل منهم ما يصيبه ، ولم يكن له بيت مال ، لانه يعطي كل ما يحصل عليه ، ومن الطبيعي ان تستثير هذه النزعة كعبا ، وتدفعه الى تمجيد هذا الرجل ، فمنحه من احساسه وحيه ووده ، ما جعله مضرب الامثـــال فقـــال (٨) :

تـرى ذا الغنـى والفقـر من كل معشـر
عصـائب شـتى ينتـــوون المفضـــلا
فمن زائـر يرجـو فواضـــل سـيبه
وآخـر يقضـي حاجـة قـد ترحـــلا
اذا ما انتوينـا غـير ارضـك لم نجـد
بهـــا منتـــوىً خـــيراً ولا متمـــلا
اذا ما عـــددنا الاكرمين ذوي النهـــى
وقـــد قدمـوا من صـــالح كنت اولا

ان مشاعر الصدق التي طبعت مديحه لآل المهلب كـانت مثار حسد بعض الخلفاء حتى جعلهم يخاطبون الشـــعراء ويمنونهم ويلحون عليهم في تقديم المديح الذي يشبه مديح كعب الاشقري في المهلب وولده ، فقد روى عن عبدالملك بن مروان انه قال للشعراء يامعشر الشعراء : تشبهوننا بالاسد الابخر والجبل الوعر والملح الاجاج الا قلتم كما قال كعب الاشقري في المهلب وولده (٩) . وروى عنه ايضا انه قال للشعراء الا قلتم فيّ كما قال كعب في المهلب وولده وانشدهم (١٠) :

يـــراك اللـــه حـــين يـــراك بحـــراً
وفجّـــر منـــك انهـــاراً فـــزارا
بنـــوك الســـابقون الـى المعـالي
اذا ما اعظـــم النـــاس الخطـــارا

ويروى عن المنصور انه قال لابن هرمه ، وقال له قـــد مدحتك بمدحة لم يمدح احد بمثلها ، فقال المنصور : وما عسى ان تقول فيّ بعد قول كعب في المهلب وانشد البيتين (١١) ..

ومن يتابع قصائده التي استغرقها في مديح آل المهلب يتحسس صدق المشاعر التي كان يغرفها في قصائده ، والوفاء الذي كان يحفظه لهذه الاسرة ...

ان صدقه في تصوير الفتح ، وابراز مقدرة الفاتحين ، وصدقه في مديح آل المهلب منحت شعره ظاهرة الصدق حتى مع الخصوم الالداء من لزارقة الخوارج الذين ناهضهم المهلب .

وأبدى لهم بكل ما اوتي من قوة ، فقد اصبح بامكاننا ان نضع كعبا الى جانب الشعراء الذين عرفوا بانصاف الخصوم ، وشهدوا لهم بالبلاء الحسن ، والثبات في مواطن المعارك . وان نمنح قصائده صفة الانصاف لانصافه خصومه قبل اصحابه ، واعترافه ببطولتهم ، وشدة مقارعتهم ، وهو جانب خلقي حميد، تمثل في نفس الانسان العربي الذي لا يرى الحقائق الا من خلال وقائعها ، ولا يحس بالمنظر الا من ثنايا ابعاده المرسومة ، وقد اهله هذا الخلق الجيد الى ان يقف عند المسالة موقفـا حقيقيا ليتمكن من معالجتها معالجة انسانية تدل على صفاء نفس وسمو اخلاق .

ان هذا الصدق الذي وقف عنده الشاعر ، وهو يراقب الاحداث ، ويتطلع الى الملامح التي كانت تلون جوانب الصراع لم يقف حائلا دون احساسه ـ وهو احساس الدولة ، واحساس الرجال الذين ارتبط بهم الشاعر ـ بان الخـــوارج قد خرجوا على الدين ، وكفروا ، وجاروا عن القصد ، واتبعوا دينا يخالف ما جاءت به النذر ، وجحدوا بآيات الله ، وان قتالهم اصبح من مستلزمات العقيدة صدقا او متابعة . وهي وجهة نظـر الدولة التي دفعت بالمهلب ومن سار تحت لوائه ، او ارتبط بسياسته الى اعلان الحرب عليهم ، ومحاولة القضاء عليهم مهما كلف الامر ، لمخالفتهم سياسيا ودينيا . وهي وجهـــة نظر كانت تدفع بالكثيرين من المقاتلين الى الاستبسال والمقاتلة قتالا شديدا . ومن الطبيعي ان تكون الحروب ضروسا بينهما ، لتشبث الجانبين في العقيدة ، وتمسكهما بالايمان الـذي يفند الزعم المتمثل لدى الجانب الاخر . لان كلا منهما يعد خصمه مخالفا للشريعة ، وخارجا على الجماعة . وقد تمثلت شدة هذا القتال ، وصلابة كل فريق ، من خلال ابيات الانصاف التي كان يقف عندها الشاعر موقف المضطر للحديث عنها ، لانه كان يرى الاستبسال وقد تمثل باجلى صوره ، والتضحية وقد برزت باميز مظاهرها وهي امور يفرضها صدق العقيـــدة ، ويمليها عمق الاحساس بصلاح المعتقد الديني ، وسلامة وجهة النظر التي كانت تؤمن بها الجماعات الاسلامية ، وهي بالتالي نموذج اخر لصدق احساس هذا الشاعر بالتعبير السـليم والتصوير الواقع لما كان يراه في كل معركة ، وما كان يتجسد من خلال كل صدام حقيقي (١٢) ..

تابى علينـا حزازات النفوس فمـــا
نبقـى عليهـم وما يبقـــون ان قـدروا
ولا يقيلوننـــا في الحـــرب عثرتنـــا
ولا نقيلهـــم يومـــاً اذا عثـــروا
لا عـــذر يقبـــل منـــا دون انفســـنا
ولا يهـــم عندنا عـــذر لو اعتـــذروا
صفّـــان بالقـاع كالطـودين بينهمـــا
كالبـرق يلمع حتى يشـخص البصـر
على بصـــائر كـــل غـــير تاركهـــا
كـلا الفـــريقين تتـــلى فيهـم السور

يمشون في البيض والابدان اذ وردوا
مشي الزوامل تهدي صفهم زمر
انا اعتصمنا بحبل الله اذ جحدوا
بالمحكمات ولم تكفر كما كفروا
جاروا عن القصد والاسلام واتبعوا
دينا يخالف ما جاءت به النذر

والشاعر في تخريجه هذا - كما اسلفنا - يمثل وجهة النظر التي وقفت امام الخوارج ، وجعلتهم الفئة المستهدفة التي وقفت تحاربها الفئات الاخر . وقد تجلت من خلال ادب الخوارج نزعاتهم الحدية في معالجة الامور ، وصلاتهم التي لا تنتهي عند حد ، وصدقهم الذي لا يوازيه صدق .

ان انصافه هذا ما كان مقصورا على الخوارج وحدهم وانما جعله يشمل التراك الذين لاقتهم جحافل المسلمين فلم يولوا ، ولم ينهزموا وانما كانوا صامدين في حازة الموت (١٣)

في حازة الموت حتى جن ليلتهم
كلا الفريقين ما ولى ولا انهزما

وكعب من الاشاقر وهم قبيلة من الازد ، وامه من عبدالقيس ، وقد انعكس ارتباطه القبلي هذا على شعره ، وغلب على فخره الطابع القبلي لانه كثيرا ما كان يذكر الازد في شعره فمن قصائده التي مدح بها المهلب وذكر الخوارج قال (١٤) :

سلوا اهل الاباطح من قريش
عن المجد المؤثل ابن صارا
لقوم الازد في الغمرات امضى
واوفى ذمة واعز جارا
هم قادوا الجياد على وجاها
من الامصار يقدمن المهارا
الى كرمان يحملن المنايا
بكل ثنية يوقدن نارا
شوازب ما اصبنا النار حتى
رددناها مكلمة مرارا

وفي قصيدة اخرى يقول (١٥) :

في كل يوم تلاقي الازد مظلمة
يشيب في ساعة من هولها الشعر
والازد قومي خيار القوم قد علموا
اذا قرومهم يوم الوغى خطروا

فكعب يستمد من امجاده واصوله سهامه التي يوجهها الى خصومه ، فهو يفخر بانتصارات قومه ، ومضائهم في الغمرات ، ووفائهم للذمم ، واعتزازهم بالجار ، وحسن قيادتهم للجياد . وهو يجد في هذه الخصائص الى جانب الخصيصة التي يترنم بها كثيرا ، وهي وجودهم في صف الجيش الفاتح الذي دخل الامصار ، وهو يضم الابطال الذين يصبون المنايا بكل ثنية ، ويلهبون الارض نارا ، يجد فيها مجالا واسعا للاستشهاد ، ويستل منها امجادا كثيرة للفخر ...

وكعب شاعر فارس وخطيب ممدود في الشجعان (١٦) ، اوفده المهلب الى الحجاج ، واوفده الحجاج الى عبدالله يخبرهما واقعة كانت له مع الازارقة وقد انشد الحجاج مطولته المشهورة :

ياحفص اني عداني عنكم السفر
وقد سهرت فادى عيني السهر
علقت ياكعب بعد الشيب غانية
والشيب فيه عن الاهواء مزدجر

وهي قصيدة طويلة ، قال عنها ابو الفرج (١٧) : ذكرها الرواة في الخبر ، فتركت ذكرها لطولها .. وبعد انتهائه منها ضحك الحجاج وقال له : انك لمنصف ياكعب . ثم قال الحجاج : اخطيب انت ام شاعر ؟ فقال : شاعر وخطيب فقال له : كيف كانت حالكم مع عدوكم ؟ قال : كنا اذا لقيناهم بعفونا وعفوهم ، فعفوهم تاتيس منهم ، فاذا لقيناهم بجهدنا وجهدهم طمعنا فيهم ، قال : فكيف كان بنو المهلب ؟ قال : حماة للحريم نهارا ، وفرسان بالليل ايقاظا ، قال : فاين السماع من العيان ؟ قال : السماع دون العيان ، قال : صفهم رجلا رجلا ، قال : المغيرة فارسهم وسيدهم ، نار ذاكية ... الخ . وظل يذكرهم رجلا رجلا وهو يحدد صفاتهم ، وما امتازوا به من خصائص وما عرفوا به من خصال ففيهم الجواد والليث وحامي الذمار والسيف القاطع والطود الشامخ والبحر الوار ، وعندما حاول الحجاج ان يستفسر عن افضلهم قال كعب : هم كالحلقة المفرغة لا يعرف طرفاها . وظل الحجاج يسال وكعب يجيب بما يوحي باخلاص هذا الرجل وصدقه ووفائه . حتى انتهى الحجاج الى ان المهلب كان اعلم بك حيث بعثك وامر له بعشرة آلاف درهم ، وحمله على فرس ، واوفده على عبدالملك بن مروان فامر له بعشرة آلاف اخرى .

ان التمسك بحب آل المهلب ، والحديث عنهم في كل مكان، والاشادة بفضلهم في كل مجلس ، يدل على الحب العميق الذي كان يساور قلب الشاعر ويتسلل الى نفسه حتى اصبح دينا واجبا ، وفرضا حقا يتحمله كعب الشاعر وتغذية اصالة الاسرة العريقة ، وبطولة ابنائها الاماجد .

ان احسان المهلب لم يقف عند حد بالنسبة لكعب وانما تعداه الى محاولة الاصلاح ، واعادة الامور الى مواضعها حينما اتصل الهجاء بين كعب وزياد الاعجم بسبب شر وقع بين الازد (قوم الشاعر) وبين عبد القيس (قوم زياد) وقد اشتعلت الحرب بينهما الا ان رجاحة عقل المهلب ورعايته للشاعر الذي استغرق شعره في مدحه حالت دون استمرارها فاصلح بينهما، وتحمل ما احدثه كل فريق على الاخر ، وادى ديانه (١٨) ، وقد استغرقت هذه الاحداث جانبا من شعر كعب الذي هجا به عبدالقيس ، وهو هجاء فيه قسوة وغلظة وفيه محاولة للنيل من هذه القبيلة ، وتقليل من شانها ، وقد استخدم في سبيل ذلك الاسلوب الساخر والاثارة المضحكة (١٩) . ولم تسلم من هجائه هذا ربيعة واليمن (٢٠) . كما لم يسلم منه ابن اخيه، فقد وقع بينهما التباعد والعداوة ، فهجاه بامه السوداء حيث قال (٢١) :

ان السواد الذي سربلت تعرفه
ميراث جدك عن اباته النوب
اشبهت خالك خال اللؤم مؤتسيا
بهديه سالكا في شر اسلوب

وقد دفع الشاعر ثمن هذا الهجاء باهضا حيث كلفه نفسه فمات مقتولا بيده حين ضربه بفاس ، وهو نائم تحت شجرة .

اما منزلته الشعرية فهو كما يقول ابو الفرج(٢٢) شاعر

فارس ، وعندما سئل الفرزدق عنه قال : شعراء الاسلام اربعة : انا وجرير والاخطل وكعب الاشقري وعندما سئل الفرزدق في خبر آخر عن نبوغ شاعر من الازد من عمان يقال له كعب قال : اي والذي خلق الشعر ، وضمه الجاحظ الى جانب المقتصدين في الشعر (٢٣) ، ولما سمع عمر بن عبدالعزيز شعرا له قال : لمن هذا ؟ قالوا : لرجل من ازد عمان ، يقال له : كعب الاشقري ، قال : ما كنت اظن اهل عمان يقولون مثل هذا الشعر (٢٤) ، هذه الاقوال وما وجدناه من اعجاب الخليفة الاموي عبدالملك بمديحه ، وما عاتب فيه المنصور الشاعر ابن هرمة طيه لانه لم يقل فيه ما قاله كعب في المهلب .. تدل على ان باع الشاعر كان طويلا ، وان قدرة شعرية جيدة كانت تختفي وراء هذا الشعر القليل الذي حفظته مصادر الادب ، وان هذا الشعر الذي لونته حوادث التاريخ ، والوانه توازع الاعجاب الذاتي ، وطبعت وجهه بطابع شعري متميز . تحدد للقارىء السمات الفنية المغمورة في عطفات الدرب البعيد الذي اختفت فيه معالم هذا الشاعر او اندثرت في حناياه طاقاته الشعرية اللامعة بحيث لم يقدر لها ان تعاد او تجمع او يفرد لها دفتر خاص . ولعل الاسباب التي قدمتها في مستهل الدراسة قد ساهمت مساهمة فعالة في هذا الضياع او الطمس المتعمد ..

ان هذا الضياع لم يقتصر على شعره وحده وانما شمل جزء كبيرا من حياته فكعب كما تذكر الاخبار من الاشاقر ، وهم حي من الازد ، ويكنى اما مالك ، وامه من عبد القيس وهو من شعراء خراسان (٢٥) . وتبرز لنا من خلال ابياته ملامح اخرى ولكنها لا تلم اشتات الصورة المتباعدة ولا تعيد اليها طبيعة الحياة التي كانت تجري فيها ، وهي ملامح تلتقط من بين اشعاره ، وتاتي عارضة في طوايا معانيه فكعب يهرب الى عمان خوفا من يزيد بن المهلب بعد ان نال منه وثلبه . وعمان هي بلده ، ولكنه لم يستطع الاقامة بعمان لان حاله ساءت بها فكتب معتذرا . ويكشف لنا الشاعر عن صلته بهذه المدينة وهو يغادر (مرو) فيقول (٢٦) :

وانـي تـارك مـروا ورائـي
الى الطبسـين معتامـا عمانـا
لاوي معقـلا فيهـا وحـرزا
فكنـا اهـل ثروتهـا زمانـا

نعم لقد كان من اهل ثروة هذه المدينة زمانا ، ولكنه لم يكن من اهل ثروتها في هذا الوقت ، ولعل هذا الوضع هو الذي ادى به الى ان تكون حالته سيئة .

ان ارتباط كعب بال المهلب هو الذي حقق له الامتداد الزمني الحافل بالسطوة ، وهو الذي حقق له الدخول الى مداخل الحلفاء والولاة ويبدو ان صلته هذه كانت تضعف كلما بعدت الشقة بينه وبين المهلب ، او بينه وبين من يرعاه من ابناء المهلب ، وعلى وفق هذا التطور سلبا او ايجابا . كانت اصوات الشاعر تتعالى او تنخفض ، تضعف او تقوى ، ولكنها على اي حال ـ وكما البتتها الحوادث ـ كانت عناصر الضعف تنخر قلب هذه الصلة ، وتبدد ما تجمع حولها من اخلاص وتفانٍ ومن المؤلم في حياة الشاعر ان تكون هذه الصلة في حياته الاخيرة ضعيفة ادت الى ان يكون ضحيتها وعلى هيئة مؤلمة ....

لقد استطاع كعب الاشقري ان يساهم الى درجة كبيرة في تصوير الحركة الاسلامية وهي تتقدم ، وتسجيل خطواتها وهي ترفع راية العدالة الانسانية ، وتخليد ابطال الدعوة من آل المهلب وهم يقدمون النماذج الرفيعة في عالم التضحية والبذل . الى جانب انصافه الرائع لحركة الخوارج وهي تصارع الدولة ، وانصافه لرجالها وهم يبذلون النفوس رخيصة في سبيل الدعوة التي آمنوا بها فكانت قصائده وثائق تاريخية سليمة لهذه الفترة التي اشتد فيها الصراع بين المهلب والازارقة من الخوارج .

اما مصادر شعره فكانت قليلة ، لان الكتب التي تورد اشعاره لا تخرج عن نطاق كتب التاريخ اولا وكتب الادب والبلدان ثانيا ، لان كتب التاريخ لا تستطيع اغفاله وهي تؤرخ للمهلب او تسجل حركة الخوارج ومن الصعب ان تتجاوز هذه الكتب كعبا الاشقري لاقترانه بالمهلب اولا وتسجيل صورة الصراع بين القائد الذي اخذ على عاتقه مقاومتهم ، والازارقة الذين اصبحوا قوة تهابها الدولة ثانيا ، وربما تفسر لنا هذه الظاهرة استشهاد الطبري باشعاره ، وايراد بعض قصائده كاملة في الوقت الذي اغفل ابو الفرج تلك القصائد او اكتفى بايراد بعضها واشار الى طولها ، ونظرة واحدة الى مواضع التخريج تحدد لنا هذا الاتجاه الواضح بحيث اصبح عدد الابيات التي استشهد بها الطبري يزيد على المائة والثلاثين بيتا ، تمثل مطولة كعب البالغة حوالي ثلاثة وثمانين الجزء الاكبر من هذه المجموعة ، وتمثل المقطوعات الاخرى والتي يتراوح عدد ابياتها بين ثلاثة ابيات وعشرة ابيات الجزء المتبقى منها ... اما ابو الفرج فقد اورد له اكثر من تسعين بيتا ، انفرد بذكر بعضها ، وقدم لقصائده بمقدمات تكشف عن الجوانب التي ساهم فيها الشاعر مساهمة بارزة ، وتكاد تكون هذه المقدمات والاخبار من المراجع المهمة التي اعاننا على دراسة حياته وشعره . ويأتي نهج البلاغة في الدرجة الثالثة في ايراد ابيات كعب لانه استشهد له بحوالي ثلاثة وثلاثين بيتا ، اما معجم البلدان فقد اورد له حوالي واحد وعشرين بيتا في مواضع بلدانية وجد في ذكرها حاجة لم تتوالى بقية المصادر الادبية في ذكر شعر كعب ، مثل كتاب الاشباه والنظائر والحماسة البصرية ، وشرح المقامات للشريشي وسمط اللالي ومعجم الشعراء وهي مصادر تورد المقطوعات المتكونة من بيتين او ثلاثة ويتشابه بعضها في ايراد المقطوعات كما هو حاصل بالنسبة لكتاب الاشباه والنظائر . ولم تكن في ذلك غرابة لتشابه الاغراض التي من اجلها وضع الكتابان .

لقد حاولت اعادة ترتيب القصائد وفقا لحروف الهجاء ، وحاولت جمع بعض الابيات المتناثرة التي وجدتها تشكل قصيدة كاملة . وقد اعانتني على ذلك روابط وجدتها واضحة بين ابياتها كما هو الحال بالنسبة للقطعة « ١٢ » وقد وجدت بعضها متفقا من حيث الغرض والمعنى والنفس وهي متفرقة على شكل ابيات ، لم اجد دليلا يربطها او جسرا شعريا يشد بعض ابياتها الى بعض فتركتها على حالها بعد ان اوردتها متتالية واشرت في هامشها الى هذه الظاهرة ، التزاما بمنهج التحقيق الذي التزمت به في مثل هذه الامور كما هو الحال بالنسبة للقطعتين « ٤ ، ٥ » والقطع « ١٧ ، ١٨ ، ١٩ » .

اما شرح الالفاظ فلم التزم به لسهولتها ، وسلاسة تعبيره لان الشاعر لم يهدف من شعره الى تعقيد اسلوبي ، او تكلف بلاغي فهو يسعى الى التعبير عن احساسه الصادق في كل مناسبة من المناسبات ولم يحتج وهو في مثل تلك المواقف

الى التراكيب المهمة التي تفقد شاعريته اصالتها ، ولهذا كان شعره واضحا ، وكانت معانيه قريبة ..

ان دواعي الوفاء تدعوني لان اشكر الزميل الدكتور يحيى الجبوري الذي قدم لي قطعتين من شعر كعب الاشقري وجدتها في القسم الذي عثر عليه من منتهى الطلب .. وآمل ان يكون شعر كعب لبنة اخرى من لبنات احياء التراث الشعري الذي حمل جزء من شعر العقيدة ، ليضاف الى المجاميع الشعرية التي قدمها المحققون الافاضل ، وفاء لحق الامة ، وخدمة لما تفرضه علينا التزاماتنا لها ، وادعو الله العلي القدير ان يوفق المخلصين لمثل هذه الاعمال .

* * *

هوامش الدراسة

(١) القطعة رقم ـ٢٠ـ
(٢) القطعة رقم ـ١٢ـ
(٣) القطعة رقم ـ١ب ـ
(٤) القطعة رقم ـ١٠ـ
(٥) القطعة رقم ـ١٠ـ
(٦) القطعة رقم ـ٧ـ
(٧) المقال المنشور في العدد الاول من المجلد الثاني /١٩٧٣ من مجلة المورد بعنوان الوجدان العربي في شعر الفتوح الاموية .
(٨) القطعة رقم ـ٢١ـ
(٩) ابو الفرج . الاغاني ٢٩٧/١٤ (دار الكتب)
(١٠) القطعة رقم ـ١٢ـ
(١١) المرزباني . معجم الشعراء /٢٣٦
(١٢) القطعة رقم ـ١٠ـ
(١٣) القطعة رقم ـ٢٧ـ
(١٤) القطعة رقم ـ١٢ـ
(١٥) القطعة رقم ـ١٠ـ
(١٦) ابو الفرج . الاغاني ٢٨٣/١٤
(١٧) ابو الفرج . الاغاني ٢٨٤/١٤
(١٨) ابو الفرج . الاغاني ٢٨٧/١٤
(١٩) ابو الفرج . الاغاني ٢٨٩/١٤ـ٢٩٠
(٢٠) ابو الفرج . الاغاني ٢٩٠/١٤
(٢١) القطعة رقم ـ٣ـ
(٢٢) ابو الفرج . الاغاني ٢٨٣/١٤
(٢٣) الجاحظ . الحيوان ٤٢٨/٦
(٢٤) الجاحظ البيان والتبيين ٣٥٩/٣
(٢٥) المرزباني . معجم الشعراء /٢٣٦
(٢٦) ابو الفرج . الاغاني ٢٩٢/١٤

الشعر

(١)

وقال كعب الاشقري لعمر بن عبدالعزيز :

(من الكامل)

١ ــ ان كنت تحفظ ما يليك فانما
عمال ارضك بالبلاد ذئاب

٢ ــ لن يستجيبوا للذي تدعو له
حتى تجلد بالسيوف رقاب

٣ ــ باكف منصلتين اهل بصائر
في وقعهن مزاجر وعقاب

٤ ــ هلا قريش ذكرت بثغورها
جزم واحلام هناك رغاب

٥ ــ لولا قريش نصرها ودفاعها
الفيت منقطعا بي الاسباب

فلما سمع هذا الشعر قال : لمن هذا ؟ قالوا : لرجل من ازد عمان ، يقال له كعب الاشقري : قال : ما كنت اظن اهل عمان يقولون مثل هذا الشعر .

(٢)

وقال : يذكر نيزك ويشيد بانتصار يزيد بن المهلب سنة ٨٤

(من الطويل)

١ ــ ثنائي على حي العتيك بانها
كرام مقاريها ، كرام نصابها

٢ ــ اذا عقدوا للجار حل بنجوة
عزيز مراقيها ، منيع هضابها

٣ ــ نفى نيزكا عن باذغيس ونيزك
بمنزلة اعيا الملوك اغتصابها

٤ ــ محلقة دون السماء كانها
غمامة صيف زل عنها سحابها

٥ ــ ولا يبلغ الاروى شماريخها العلا
ولا الطير الا نسرها وعقابها

٦ ــ وما خوفت بالذئب ولدان اهلها
ولا نبحت الا النجوم كلابها

٧ ــ تمنيت ان القى العتيك ذوي النهى
مسلطة تحمى بملك ركابها

٨ ــ كما يتمنى صاحب الحرث اعطشت
مزارعه غيثا غزيرا ربابها

٩ ــ فاسقي بعد اليأس حتى تحيرت
جداولها ريا وعب عبابها

١٠ ــ لقد جمع الله النوى وتشعبت
شعوب من الآفاق شتى مآبها

(٣)

قال كعب الاشقري :

(من الطويل)

فان لا اكن في الارض اخطب قائما
فاني على ظهر الكميت خطيب

وان لا اكن فيكم خطيبا فانني
بسمر القنا والسيف جد خطيب

(٤)

وكان بين كعب وبين ابن اخيه تباعد وعداوة وكانت امه سوداء فقال يهجوه :

(من البسيط)

١ ــ ان السواد الذي سربلت تعرفه
ميراث جدك عن ابائه النوب

٢ ــ اشبهت خالك خال اللؤم مؤتسيا
بهديه سالكا في شر اسلوب

(٥)

وقال كعب الاشقري

(من الطويل)

١ ــ فلم ار حيا صابروا مثل صبرنا
ولا كافحوا مثل الذين نكافح

٢ ــ اذا شئت لاقاني كميٌ مدجج
على اعوجي بالطعان مسامح

٣ ــ واقبل صفانا وفي عارضيهما
جني ترى فيه البروق اللوامح

٤ ــ اذا اقبلوا في السابغات حسبتهم
سيولا اذا جاشت بهن الاباطح

٥ ــ اليهم وفيهم منتهى الحزم والندى
وللكرب فيهم والخصاصة فاسح

٦ ــ ترى علقا تغشى النفوس رشاشه
اذا انفرجت من بعدهن الجوانح

---

٤ ــ في الاشباه والنظائر ١٨١/٢ ومحاضرات الراغب ٢٥٢/٢ زال عنها

٥ ــ في الاشباه والنظائر ١٨١/٢ فما يلحق الاروى شماريخها الدنى . وفي البصرية .. فما تلحق ... الاولى

٦ ــ في الاشباه والنظائر ١٨١/٢ وما روّعت وفي البصرية ٢٤٦/٢ . ولا رُوّعت

٧ ـ كأن القنا الخطي فينا وفيهم
اشاطين بئر هيجتها الموائح

٨ ـ هناك قذفنا بالرماح فمائل
هنالك في جمع الفريقين رامح

٩ ـ ودرنا كما دارت على قطبهاالرحى
ودارت على هام الرجال الصفائح

١٠ ـ فظلت عيون حين دارت رحاهم
لما قطرت من خشية الموت طامح

---

٧ ـ في النصف الثاني من الزهرة /٢٢٢ .. شواطن بئر ..
٨ ـ في كتاب الزهرة .. بالرماح ولم تكن هنالك

(٦)

ولكعب في المهلب * :

(من الطويل)

١ ـ شفيت صدورا بالعراقين طالما
تجاوب فيها النائحات الصوادح

٢ ـ مددت الندى والجود للناس كلهم
فهم شَرَعٌ فيه صديق وكاشح

---

* ارجح كون البيتين من القطعة المتقدمة لاتصالهما من حيث الغرض ، واتصالهما من حيث المعنى ولكنني لم اجدهما متصلين مع القطعة المتقدمة في مصدر من المصادر ، فافردتهما التزاما بمنهج التحقيق .

(٧)

وقال كعب الاشقري :

(من الكامل)

رفعوا الوقود على الجبال ترفعاً
ان يستدل عليهم بنباح

(٨)

(من الخفيف)

١ ـ كل يوم يحوي قتيبة نهباً
ويزيد الاموال مالا جديدا

٢ ـ باهلي قد لبس التاج حتى
شاب منه مفارق كن سودا

٣ ـ دوَّخَ الشغد بالكتائب حتى
ترك الشغد بالعراء قعودا

٤ ـ فوليد يبكي لفقد ابيه
واب موجع ينبكي الوليدا

٥ ـ كلما حلّ بلدة او اتاها
تركت خيله بها اخدودا

---

* في التصف الثاني من الزهرة /٢٢٢ .. شواطن بئر ..
* في كتاب الزهرة .. بالرماح ولم تكن هنالك

(٩)

اقام كعب بن معدان الاشقري بعمان مدة بعد ان نال من يزيد وثلبه . وقد ساءت حاله بعمان فكتب الى يزيد بن المهلب معتذرا .

(من البسيط)

١ ـ بئس التبدل من مرو وساكنها
ارض عمان وسكنى تحت اطواد

٢ ـ يضحي السحاب مطيرا دون منصفها
كان اجيالها علّت بفرصاد

٣ ـ يالهف نفسي على امر خطلت به
وما شفيت به غمري واحقادي

٤ ـ افنيت خمسين عاما في مديحكم
ثم اغتررت بقول الظالم العادي

٥ ـ ابلغ يزيد قرين الجود مالكة
بأن كعبا اسيرٌ بين اصفاد

٦ ـ فأن عفوت فبيت الجود بيتكم
والدهر طوران من غيٍّ وارشاد

٧ ـ وان مننت بصفح او سمحت به
نزعت نحوك اطنابي واوتادي

(١٠)

قال ابو الفرج : ونسخت من كتاب النضر ايضا ان الحجاج كتب الى يزيد بن المهلب يامره بقتل بني الاهتم ، فكتب اليه يزيد ان بني الاهتم اصحاب مقال ، وليسوا باصحاب فعال ، فلا تقدر ان تحدث فيهم ضررا ، وفي قتلهم عار وسبة . فتغافل عنهم ثم انضموا الى المفضل بن المهلب . فكتب اليه الحجاج يامره بقتلهم فكتب اليه بمثل ما كتب به اخوه فاعفاهم . ثم ولى قتيبة بن مسلم فخرجوا اليه ، والتقوا معه . وذكروا بني المهلب فعابوهم ففلبهم قتيبة ، واحتوى عليهم فكانوا يغرون الجند عليه ، ويحملون بهم على سوء الطاعة فكتب يشكوهم الى الحجاج فكتب اليه يامر بقتلهم فقتلهم جميعا فقال كعب الاشقري في ذلك :

(من الكامل)

١ ـ قل للاهاتم من يعود بفضله
بعد المفضل والاغرّ يزيد

٢ ـ ردّا صحائف حتفكم بمعاذر
رجعت اشائم طيركم بسعود
٣ ـ رَدّا على الحجاج فيكم امره
فجزيتم احسانه بجحود
٤ ـ فاليوم فاعتبروا فراق اخيكم
ان القياس بجاهل ورشيد

٤ ـ ورد في بعض نسخ الاغاني فاعتبروا فعال اخيكم ...

(١١)

وقال كعب الاشقري

(من الكامل)

١ ـ ياقوم غيري واذهب قوتي
دهرٌ الحّ بطارفي وتلادي
٢ ـ فكأنما في المال نار باشرت
حرثا قد آذن اهله بحصاد
٣ ـ كِبرٌ ووقع حوادث نزلت بنا
والفقر بعد كرامة ومهاد
٤ ـ تغتال كل مؤجل ايامه
وتصير بهجة ما ترى لنفاد

(١٢)

قال كعب الاشقري ـ والاشقر بطن من الازد ـ يذكر يوم رامهرمز وايام سابور وايام جيرفت

(من البسيط)

١ ـ ياحفص اني عداني عنكم السفر
وقد ارقت فاذى عيني السهر
٢ ـ علقت ياكعب بعد الشيب غانية
والشيب فيه عن الاهواء مزدجرُ
٣ ـ امنسكٌ انت عنها بالذي عَهدت
ام حَبلها اذ نأتك اليوم منبتر
٤ ـ علقتُ خَوْداً باعلى الطف منزلها
في غرفة دونها الابواب والحجر
٥ ـ دُرماً مناكبها ريّا مآكمها
تكاد اذ نهضت للمشي تنبتر
٦ ـ وقد تركت بشط الزابيين لها
داراً بها يسعد البادون والحضر
٧ ـ واخترت داراً بها حيٌ امَرٌ بهم
ما زال فيهم لمن نختارهم خير
٨ ـ لما نبت بي بلادي سرت منتجعا
وطالب الخير مرتاد ومنتظر
٩ ـ ابا سعيد فاني جئت منتجعا
ارجو نوالك لما مَسّني الضرر (١)
١٠ ـ لولا المهلب مازرنا بلادهم
ما دامت الارض فيها الماء والشجر
١١ ـ فما من الناس من حيٌ علمتهم
الا يرى فيهم من سيبكم أثر
١٢ ـ احييتهم بسجال من نداك كما
تحيا البلاد اذا ما مسّها المطر
١٣ ـ اني لارجو اذا ما فاقةٌ نزلت
فضلا من الله في كفيك يبتدرُ
١٤ ـ فاجبر اخاً لك أوهى الفقر قوته
لعله بعد وهي العظم ينجبر
١٥ ـ جفا ذوو نسبي عني واخلفني
ظني فلله درّي كيف اتمر
١٦ ـ ياواهب القينة الحسناء سنتها
كالشمس هركولة في طرفها فتر
١٧ ـ وما تزال بدور منك رائحة
وآخرون لهم من سيبك الغرر
١٨ ـ نماك للمجد املاك ورثتهم
شم العرانين في اخلاقهم يسر
١٩ ـ ثاروا بقتلى واوتار تعددها
في حين لا حدث في الحرب يتئرُ
٢٠ ـ واستسلم الناس اذ حل العدو بهم
فما لامرهم ورد ولا صَدَرُ
٢١ ـ وما تجاوز باب الجسر من احد
وعَضّتِ الحرب اهل العصر فانجحروا
٢٢ ـ وادخل الخوف اجواف البيوت على
مثل النساء رجال ما بهم غيَرُ
٢٣ ـ واشتدت الحرب والبلوى وحل بنا
امر تشمّرُ في امثاله الآزرُ
٢٤ ـ تظل من دون خفض معصمين بهم
فشمر الشيخ لما اعظم الخطر
٢٥ ـ كنا نهون قبل اليوم شانهم
حتى تفاقم امرٌ كان يحتقر

١ ـ في السمط ٥٨٩/١ .. وقد سهرت فاردى

(١) ابو سعيد : كنية المهلب

٢٦ ـ لما وهنّا وقد حلوا بساحتنا
واستنفر الناس تارات فما نفروا

٢٧ ـ نادى امرؤ لا خلاف في عشيرته
عنه وليس به في مثله قصرُ

٢٨ ـ افشى هنالك مما كان قد عصروا
فيهم صنائع مما كان يدخرُ

٢٩ ـ تلبسوا لقِراع الحرب بزتها
فاصبحوا من وراء الجسر قد عبروا

٣٠ ـ ساروا بالوية للمجد قد رفعت
وتحتهن ليوث في الوغى وقر

٣١ ـ حتى اذا خلّفوا الاهواز واجتمعوا
برامهرمز وافاهم بها الخبرُ

٣٢ ـ نَعيُ بشر فجال القوم وانصدعوا
الا بقايا اذا ما ذُكّروا ذَكَروا (١)

٣٣ ـ ثم استمرّ بنا راضٍ ببيعته
ينوي الوفاء ولم نغدر كما غدروا

٣٤ ـ حتى اجتمعنا بسابور الجنود وقد
شبت لنا ولهم نار لها شرر

٣٥ ـ نلقى مساعير ابطالا كانهم
جِنٌ نقارعهم ما مثلهم بشر

٣٦ ـ تسقى ونسقيهم سَمّاً على حنقٍ
مستانفي الليل حتى اسفر السحر

٣٧ ـ قتلى هنالك لا عقلٌ ولا قَوَدٌ
منا ومنهم دماءٌ سفكها هدر

٣٨ ـ حتى تنحوا لنا عنها نسوقهم
منّا ليوثٌ اذا ما اقدموا حسروا

٣٩ ـ لم يغنِ عنهم غداة التلّ كيدهم
عند الطعان ولا المكر الذي مكروا

٤٠ ـ باتت كتائبنا تردي منسوّمةً
حول المهلّب حتى نَوّرَ القمرُ

٤١ ـ هناك ولّوا حزانا بعد ما فرحوا
وحال دونهم الانهار والجُدُرُ

٤٢ ـ عبوا جنودهم بالسفح اذ نزلوا
بكازرون فما عَزّوا ولا ظفروا

٤٣ ـ وقد لقوا مَصْدَقاً منا بمنزلة
ظنوا بان ينصروا فيها فما نصروا

٤٤ ـ يدشت بارين يوم الشِعب اذ لحِقت
اُسدٌ بسفك دماء الناس قد زئروا

٤٥ ـ لاقوا كتائب لا يخلون ثغرهم
فيهم على مَن يقاسي حربهم صعرُ

٤٦ ـ المقدمين اذا ما خيلهم وردت
والعاطفين اذا ما ضُيِّع الدُّبرُ

٤٧ ـ وفي جبيرين اذ صفوا بزحفهم
ولوا خزايا وقد فلوا وقد قهروا

٤٨ ـ والله ما نزلوا يوماً بساحتنا
الا اصابهم من حربنا ظفر

٤٩ ـ ننفيهم بالقنا عن كل منزلة
تروح منا مساعير وتبتكر

٥٠ ـ ولو حذاراً وقد هزوا اسنتنا
نحو الحروب فما نجاهم الحذر

٥١ ـ صلت الجبين طويل الباع ذو قرح
ضخم الدَّسيعة لاوان ولا غمر

٥٢ ـ مجرب الحرب ميمون نقيبته
لا يستحق ولا من رايه البطر

٥٣ ـ وفي ثلاث سنين يستديم بنا
يقارع الحرب اطواراً ويأتمر

٥٤ ـ يقول ان غداً مبدٍ لناظره
وفي الليالي وفي الايام معتبر

٥٥ ـ دعوا التتابع والاسراع وارتقبوا
ان المحارب يستاني وينتظر

٥٦ ـ حتى اتته امور عندها فرج
وقد تبين ما يأتي وما يذر

٥٧ ـ لما زواهم الى كرمان وانصدعوا
وقد تقاربت الآجال والقدر

---

٢٧ ـ في شرح نهج البلاغة ٥٩/٢ .. به عن مثله
٣١ ـ في بلدان ياقوت ٧٢٨/٢ من وافى به الخبر
٤١ ـ في شرح نهج البلاغة ٦٠/٢ ولوا خزايا بعدما هرفوا

٤٢ ـ وفي السمط ٥٨٩/١ .. وفي شرح نهج البلاغة ٥٩/٢
خبوا كمينهم ولا نصروا
٤٤ ـ في بلدان ياقوت ٥٧٦/٢ .. قد دبروا
٤٥ ـ في بلدان ياقوت ٥٧٦/٢ .. لاقوا فوارس ما يطون
٤٦ ـ في بلدان ياقوت ٥٧٦/٢ .. والطاعنين

(١) هو بشر بن مروان

٥٨ ـ سرنا اليهم بمثل الموج وازدلفوا
وقبل ذلك كانت بيننا مئر(٢)

٥٩ ـ وزادنا حنقاً قتلى تذكرّها
لا تستفيق عيون كلما ذكروا

٦٠ ـ اذا ذكرنا جروزاً والذين بها
قتلى مضى لهم حولان ما قبروا

٦١ ـ تأبى علينا حزازات النفوس فما
تبقي عليهم وما يبقون ان قدروا

٦٢ ـ ولا يقيلوننا في الحرب عثرتنا
ولا نقيلهم يوماً اذا عثروا

٦٣ ـ لا عذر يقبل منا دون انفسنا
ولا لهم عندنا عذر لو اعتذروا

٦٤ ـ صفان بالقاع كالطودين بينهما
كالبرق يلمع حتى يشخص البصر

٦٥ ـ على بصائر كل غير تاركها
كلا الفريقين تتلى فيهم السّورُ

٦٦ ـ يمشون في البيض والابدان اذ وردوا
مشي الزوامل تهدي صفهم زمر(٣)

٦٧ ـ وشيخنا حوله منّا ململمةٌ
حيٌّ من الازد فيما نابهم صبر

٦٨ ـ في موطنٍ يقطع الابطال منظره
تنشاط فيه نفوس حين تبتكر

٦٩ ـ ما زال منا رجال ثم نضربهم
بالمشرفي ونار الحرب تستعر

٧٠ ـ وبادَ كل سلاحٍ يستعان به
في حومة الموت الا الصارم الذكر

٧١ ـ ندوسهم بعناجيج مجففة
وبيننا ثم من صمٍّ القنا كِسرُ

٧٢ ـ يغشين قتلى وعقرى ما بها رمق
كأنما فوقها الجاديُّ يعتصرُ

٧٣ ـ قتلى بقتلى قصاص يستفاد بها
تشفي صدور رجال طالما وتروا

---

٦٠ ـ في بلدان ياقوت ٦٦/٢ .. قتلى حلا حلهم حولان ما قبروا
٦١ ـ في شرح نهج البلاغة ٦٠/٢ .. ولا يبقون ان قدروا
وفي بلدان ياقوت ٦٦/٢ تأتي عليهم ولا يبقون ان قدروا

---

(٢) المئر ، جمع مئرة : وهي الذحل والعداوة
(٣) الزوامل ، جمع زاملة : وهو البعير يحمل الطعام والمتاع

٧٤ ـ مجاورين بها خيلا معقرة
للطير فيها وفي اجسادهم جزر

٧٥ ـ في معرك تحسب القتلى بساحته
اعجاز نخل زفته الريح ينعقر

٧٦ ـ وفي مواطن قبل اليوم قد سلفت
قد كان للازد فيها الحمد والظفر

٧٧ ـ في كل يوم تلاقي الازد مفظعة
يشيب في ساعة من هولها الشعر

٧٨ ـ والازد قومي خيار القوم قد علموا
اذا قرومهم يوم الوغى خطروا

٧٩ ـ فيهم معاقل من عز يلاذ بها
يوماً اذا شمرت حرب لها دِرَرُ

٨٠ ـ حيٌّ باسيافهم يبغون مجدهم
ان المكارم في المكروه تبتدر

٨١ ـ لولا المهلب للجيش الذي وردوا
انهار كرمان بعد الله ما صدروا

٨٢ ـ انا اعتصمنا بحبل الله اذ جحدوا
بالمحكمات ولم نكفر كما كفروا

٨٣ ـ جاروا عن القصد والاسلام واتبعوا
ديناً يخالف ما جاءت به النُّذُرُ

(١٣)

وقال كعب بن « الاشقر » .

(من الطويل)

اتعلم كلب الحي من خشية القرى
ونارك كالعذراء من دونها سترُ

(١٤)

كانت ربيعة واليمن متحالفة وكان المهلب وابنه يزيد ينزلان هاتين القبيلتين في محلهما فقال كعب الاشقري ليزيد :

(من البسيط)

١ ـ لاترجنَّ هنائياً لصالحة
واجعلهم وهدادا اسوة الحمر (١)

٢ ـ حيان ما لهما في الازد مأثرة
غير النواكة والافراط في الهذر (٢)

---

(١) هنائي : نسبة الى هناء ، وهم بنو هناء بن عمرو بن الغوث ابن طيء . ووهداد : حي من اليمن
(٢) النواكة : الحماقة .

٣ ـ واجعل لكيزاً وراء الناس كلهم
أهل الفساء واهل النتن والقذر
٤ ـ قوم علينا ضباب من فسائهم
حتى ترانا له ميدى من السكر
٥ ـ ابلغ يزيد بانا ليس ينفعنا
عيش رغيد ولا شيء من العطر
٦ ـ حتى تحل لكيزاً فوق مدرجة
من الرياح على الاحياء من مضر
٧ ـ لياخذوا لنرار حظّ سبّتها
كما اخذنا بحظ الحلف والصهر

(١٥)

قال كعب الاشقري يمدح المهلب بن ابي صفرة، ويذكر قتاله الازارقة .

(من الوافر)

١ ـ طربت وهاج لي ذاك ادكارا
يكثّ وقد اطلت به الحصارا
٢ ـ وكنت الذّ بعض العيش حتى
كبرت وصار لي همي شعارا
٣ ـ رايت الغانيات كرهن وصلي
وابدين الصريمة لي جهارا
٤ ـ غرضن بمجلسي وكرهن وصلي
أوان كسيت من شمط عذارا
٥ ـ زرَين عليّ حينٌ بدا مشيبي
وصارت ساحتي للهمّ دارا
٦ ـ أتاني والحديث له نماء
مقالة جائر احفى وجارا
٧ ـ سلوا اهل الاباطح من قريش
عن الغر المؤبد اين صارا
٨ ـ ومن يحمي الثغور اذا استحرت
حروب لا يَنون لها غرارا
٩ ـ لقومي الازد في الغمرات امضى
واوفى ذمّةً واعزّ جارا
١٠ ـ هم قادوا الجياد على وجاها
من الامصار يقذفن المهارا
١١ ـ بكل مفازةٍ وبكل سَهبٍ
بسابس لا يرون لها منارا
١٢ ـ الى كرمان يحملن المنايا
بكل ثنية يوقدن نارا
١٣ ـ شوازب لم يصبن الثار حتى
رددناها مكلمة مرارا
١٤ ـ ويشجرن العوالي السمر حتى
ترى فيها عن الاسل ازورارا
١٥ ـ غداة تركن مصرع عبد ربٍّ
يثرن عليه من رهج عصارا
١٦ ـ ويوم الزحف بالاهواز ظلنا
نروّي منهم الاسل الحرارا
١٧ ـ فقرّت اعين كانت حديثاً
ولم يك نومها الا غرارا
١٨ ـ صنائعنا السّوابغ والمذاكي
ومن بالمصر يحتلب العشارا
١٩ ـ فهنّ يبحن كل حِمىً عزيزٍ
ويحمين الحقائق والذّمارا
٢٠ ـ طوالات المتون يصنّ الاّ
اذا سار المهلّب حيث سارا
٢١ ـ فلولا الشيخ بالمِصرَين ينفى
عدوهم لقد تركوا الديارا
٢٢ ـ ولكن قارع الابطال حتى
أصابوا الامن واجتنبوا الفرارا
٢٣ ـ اذا وهنوا وحل بهم عظيم
يدق العظم كان لهم جبارا
٢٤ ـ ومبهمة يحيد الناس عنها
تشب الموت شدّ لها الازارا
٢٥ ـ شهاب تنجلي الظلماء عنه
يرى في كل مبهمة منارا
٢٦ ـ بل الرحمن جارك اذ وَهَنّا
بدفعك عن محارمنا اختيارا
٢٧ ـ براك الله حين يراك بحراً
وفجر منك انهاراً غزارا
٢٨ ـ بنوك السابقون الى المعالي
اذا ما أعظم الناس الخطارا

---

١ ـ في بلدان ياقوت ٤/٢٤٠ الذكارا يكج وقد اطلت ..
٢ ـ في بلدان ياقوت ٤/٢٤٠ ذكرت الغانيات وكن عهدي
بدار لا اطيق بها قرارا وقدم لهما ياقوت بقوله : قال كعب بن معدان الاشقري يذكر كجا وكان من اصحاب المهلب ومن شهد حروب الخوارج بخوزستان فارس .

٢٩ ـ كانهم نجوم حول بدرٍ
درايٌ تكمّلت فاستدارا
٣٠ ـ ملوك ينزلون بكل ثغرٍ
اذا ما الهام يوم الروع طارا
٣١ ـ رزانٌ في الامور ترى عليهم
من الشيخ الشمائل والنجارا
٣٢ ـ نجوم يهتدى بهم اذا ما
اخو الظلماء في الغمراتِ حارا

(١٦)

وقال كعب ايضاً

سلم على الطلل المحيل الدائر
وسل المنازل هل بها من خابر
هل بالديار لسائل من عامر
بعد الانيس وبعد هضب السامر
اقوت وغيّر رسمها من بعده
هوج الرياح وكل جون ماطر
بذوات اجور فالعزيف فمنعق
فهضاب غلفة فالعذيب فبادر
ايام سلمى تستبيك بواضح
كالاقحوان وطرف عين فاتر
دع عنك ذا واذكر اياداً انها
عثرت وما كانت بأول عاثر
ضلت اياد وما يرد ضلالها
داعي الرشاد وما لها من زاجر
ايها اياد فقد جريت لغايتي
خزياً عليك وبات ذل حاضر
يااين المراغه حنرت في دوية
كيما تنال اذا عددت مآثري
مَن ذا تَعدُ الى جذيمة فيكم
والى هناءه فرع عزّ قاهر
والى سليمة والعفاة وغامد
مَوجٌ يقمص بالمشيح الماهر
منّي فراهيد الذين ملوكهم
عموا وزادوا فوق فخر الفاخر
وبنو حمام في ارومة ملكهم
بذخوا وهم صوب الربيع الماطر
والحي شبك حال دون حماهم
حلق الحديد وكل اجرد ضامر
والحي مَعن حَزَر كل مطرد
ورثوا المكارم كابراً عن كابر
رهط ابن عمرو ساد لا متكلفاً
اهل العمود وساد اهل الحاضر
اني من السلف المقصر دونه
شرف الانام وبذخ كل منافر
القاهرين لمن ارادوا قهره
في السالفات وفي الزمان الغابر
والمانعين من العدو حريمهم
والقابضين يد الحمام الجائر
حبر الكسير اذا يحن اليهم
وغنى العديم وامن كل محاذر
فلي الرياح عليك ان جاريتني
وذرى الجبال وكل بحر زاخر
والشمس والقمر المنير اذا بدا
ليل التمام وكل نجم زاهر
ايام قومك لا تحل بيوتهم
الا بعقد في حبال مجاور
لا يغدرون ولا يجاور فيهم
وهم لعمرك اكلة للغادر
غضوا اياد فان فيكم سيرة
شرء اللئام ونظرة المتصاغر
اني من القوم الذين قرومهم
شهدوا جنوب ويوم صدمة عامر
قرم اغر كالهجان اذا بدا
لقراع زحف كالعقاب الكاسر
فاصاب جمع بني محارب كلهم
وانصاع كالقمر المنير الباهر
ضرب السرادق حين ليس سرادق
والناس اهل قنابل وعساكر
اجعلت من منع الاراك وعافه
والبان يعجب كل نظرة ناظر
وحوى البلاد سهولها وحزونها
اهل العراق ونجدها والغابر
بالمعلمين وبالقنابل والقنا
والسابغات وكل ابيض باتر

يوماً كمن تـرك القـراح وعـزه
خمـر القطيف مع الذليل الكافـر
من لا يـزال مـع الهـوان مُطَبَّباً
في البحـر اهـل حظـائر وقراقر
هيهـات ما جعـل الذنابى تاليـاً
كالانف او جعـل الـذرى كالحافر
فاجلب عليَّ بكـلّ رقيـة عقـربٍ
وزبانهـا وبكـلّ عقـدة ساحـر

(١٧)

قال عبدالملك بن مروان يامعشر الشـعراء تشبهوننا بالأسد الابخر والجبل الوعر والملـح الاجاج الا قلتم كما قال كعب الاشقري في المهلب وولـده :

(من الطويل)

١ ـ لقد خاب اقوام سروا ظلمة الدجى
يؤمّون عمراً ذا الشعير وذا البرّ
٢ ـ يؤمون من نال الغنى بعد شيبه
وقاس وليداً ما يقاسي ذوو الفقر
٣ ـ فقل للجسيم يالبكر بن وائل
مقالة من يلحي اخاه ومن يزري
٤ ـ فلو كنتم حيّاً صميماً نفيتم
بخيلكم بالرغم منه وبالصغر
٥ ـ ولكنكم ياآل بكر بن وائل
يسودكم من كان في المال ذا وفر
٦ ـ هو المانع الكلبَ النباح وضيفه
خميص الحشا يرعى النجوم التي تسري

(١٨)

وقد انشد كعب المهلب بحضرة رسول الحجاج

(من الكامل)

١ ـ ان ابن يوسف غرّه من غزوكم
خفض المقام بجانب الامصار
٢ ـ لو شاهد الصفّين حيث تلاقيا
ضاقت عليه رحيبة الاقطار
٣ ـ من ارض سابور الجنود وخيلنا
مثل القداح بَريتها بِشفار
٤ ـ من كل خنذيذٍ يرى بلبانه
وقع الظّباة مع القنا الخطار
٥ ـ لراى معاودة الرّباع غنيمةً
ازمان كان محالف الاقتار
٦ ـ فدع الحروب لشيبها وشبابها
وعليك كلّ غريرةٍ معطار

١ ـ في شرح نهج البلاغة ٦٢/٢ .. غره من امركم ..

٤ ـ في شرح نهج البلاغة ٦٢/٢ .. من كل صنديد وهو تحريف.

(١٩)

وقال كعب بن معدان الاشقري (اموي الشعر) في المغيرة بن المهلب

(من البسيط)

١ ـ كم حاسد لك قد عطلت همته
مغرىً بشتم صروف الدهر والقدر
٢ ـ كانما انت سهم في مقاصله
اذا رآك ثنى طرفا على عورٍ
٣ ـ كم حسرةٍ منك تردي في جوانحه
لها على القلب مثل الوخز بالابر
٤ ـ انت الكريم الفتى لا شيء يشبهه
لا عيب منك سوى أن قيل من بشر

٢ ـ في الاشباه والنظائر ٢٠٦/٢ .. ثنى طرفا وهو تحريف

٤ ـ علق صاحب الاشباه والنظائر ٢٠٦/٢ على البيت الاخير بقوله « البيت الاخير من هذه الابيات مدح مخرجه مخرج الذم وقد ذكره عبدالله بن المعتز في كتاب الله ولقبه بكتاب البديع ، وهذا المعنى كثير في الشعر القديم والمحدث .

(٢٠)

وقال كعب يهجو عبدالقيس :

١ ـ لعل عبيد القيس تحسب انها
كتغلب في يوم الحفيظة او بكر
٢ ـ يضعضع عبدالقيس في الناس منصبٌ
دنيء واحساب جبرن على كسر
٣ ـ اذا شاع امر الناس وانشقت العصا
فان لكيزاً لا تريش ولا تبري(١)

(١) هو لكيز بن افصى بن عبدالقيس .

(٢١)

وقال كعب الاشقري ايضاً لما قتل عبد رب الصغير يذكر ذلك

(من الطويل)

١ ــ رأيت يزيداً جامع الحزم والندى
ولا خير فيمن لا يضر وينفع
٢ ــ اصاب بقتلى في جروز قصاصها
وادرك ما كان المهلب يصنع
٣ ــ فدى لكم آل المهلب اسرتي
وما كنت أحوي من سوامٍ واجمع
٤ ــ فليس امرءٌ يبني العلا بسنانه
كآخر يبني بالسواد ويزرع

(٢٢)

وقال كعب الاشقري شاعر المهلب في حروب الازارقة

(من الطويل)

١ ــ نجا قطريٌ والرماح تنوشه
على سابحٍ نهد التليل مقرّعٌ
٢ ــ يلتف به الساقين ركضاً وقد بدا
لاشناعه يوم من الشرّ اشنع
٣ ــ واسلم في جرفت اشراف جنده
اذا ما بدا قرنٌ من الباب يقرع

(٢٣)

وكان للمهلب وقائع بسابور مع قطري بن الفجاءة والخوارج طويلة ذكرها الشعراء

قال كعب الاشقري *

(من الطويل)

١ ــ تساقوا بكأس الموت يوماً وليلة
بسابور حتى كادت الشمس تطلع
٢ ــ بمعترك رضراضةٍ من رجالهم
وعفر يرى فيها القنا المتجزع

* ارجح كون القطع « ١٧ ، ١٨ ، ١٩ » المتقدمة قطعة واحدة لاتفاقها من حيث الغرض واتصالها من حيث المعنى ولكنني لم اجدها متصلة في مصدر فافردتها بهذه الهيئة وجعلتها متوالية ، التزاما بمنهج التحقيق .

(٢٤)

(من البسيط)

١ ــ رمتك فيل بما فيها وما ظلمت
ورامها قبلك الفجفاجة الصلف
٢ ــ لا يجزيء الثغرَ خوار القناة ولا
هش المكاسر والقلب الذي يجف
٣ ــ هل تذكرون ليالي الترك تقتلهم
ما دون كازهَ والفجفاج ملتحف
٤ ــ لم يركبوا الخيل الا بعد ما كبروا
فهم ثقال على اكتافها عُنُفُ
٥ ــ انتم شباس ومرداذان محتقر
وبسخراء قبور حشوها القلف
٦ ــ اني رأيت ابا حفص تفضله
ايامه ومساعي الناس تختلف
٧ ــ قيس صريح وبعض الناس يجمعهم
قرىً وريف فمنسوب ومقترف
٨ ــ لو كنتطاوعت اهل العجزمااقتسموا
سبعين الفاً وعز السغد مؤتنف
٩ ــ وفي سمرقند اخرى انت قاسمها
لئن تأخر عن حوبائك التلف
١٠ ــ ما قدم الناس من خير سبقت به
ولا يفوتك مما خلفوا شرف

---

١ ــ جاء في الطبري ٤٧١/٦ . قال : انشدني علي بن مجاهد : رمتك فيل بما دون كاز ...
قال : وكذلك قال الحسن بن رشيد الجوزجاني ، واما غيرهما فقال : رمتك فيل بما فيها ...
وقالوا : فيل مدينة سمرقند ، قال : واثبتها عندي قول علي بن مجاهد . وفي الاغاني ٣٠٠/١٤ . الفيل : خص خوارزم . الفجفاجة الكثير الكلام .

٥ ــ في معجم البلدان ٣٨٧/٢ .. انتم بشاش وبهبوذان مختبرا وبسخره وبنوس .. وهو تحريف وفي الاغاني ٢٩٩/١٤ . فهم شناس ومرداذاه تعرفه وفسخراء
وقال : وشناس : اسم ابي صفرة فغيره وتسمى ظلما ومرداذاه ابو ابي صفرة وسموه بشيرا لما تعربوا وفسخراء جده وهم قوم من اهل الخوزمن اهل عمان ثم نزلوا الازد ثم ادعوا انهم صليبة صرحاء .

(٢٥)

جاء في تاريخ الطبري .. عزل الحجاج يزيد ابن المهلب ، وكتب الى الفضل بن المهلب بولايته على

خراسان سنة خمس وثمانين ، فوليها تسعةاشهر ، ففزا باذغيس ففتحها واصاب مغنما ، فقسمه بين الناس ، فاصاب كل رجل منهم ثمانمائة درهم ، ثم غزا اخرون وشومان ، فظفر وغنم ، وقسم ما اصاب بين الناس ، ولم يكن للمفضل بيت مال ، كان يعطي الناس كلما جاءه شيء ، وان غنم شيئا قسمه بينهم ، فقال كعب الاشقري يمدح المفضل :

(من الطويل)

١ ــ ترى ذا الغنى والفقر من كل معشر
عصائب شتى ينتوون المفضلا
٢ ــ فمن زائر يرجو فواضل سيبه
وآخر يقضي حاجَـهُ قد ترحلا
٣ ــ اذا ما انتوينا غير ارضك لم نجد
بها منتوىً خيراً ولا متعللا
٤ ــ اذا ما عددنا الاكرمين ذوي النهى
وقد قدموا من صالح كنت اولا
٥ ــ لعمري لقد صال المفضل صولة
اباحت بشومان المناهل والكلا
٦ ــ ويوم ابن عباس تناولت مثلها
فكانت لنا بين الفريقين فيصلا
٧ ــ صفت لك اخلاق المهلب كلها
وسربلت من مسعاته ما تسربلا
٨ ــ ابوك الذي لم يسع ساع كسعيه
فاورث مجداً لم يكن متنحلا

(٢٦)

قال كعب الاشقري يهجو زياداً الاعجم :

(من الطويل)

١ ــ واقلف صلى بعدما .... امه
يرى ذاك في دين المجوس حلالا

(٢٧)

ومما هجا كعب الاشقري عبدالقيس به قوله :

(من الوافر)

١ ــ ثوى عامين في الجيف اللواتي
مطرحة على باب الفصيل
٢ ــ احِبُّ اليّ من ظلٍّ وكنٍّ
لعبد القيس في اصل الفسيل
٣ ــ اذا ثار الغساء بهم تغنوا
الم تربع على الدِّمن المثول
٤ ــ تظل لها ضبابات علينا
موانع من مبيت او مقيل

(٢٨)

قال كعب يهجو عبدالقيس

(من البسيط)

١ ــ اني وان كنت فرع الازد قد علموا
اخرى اذا قيل عبدالقيس اخوالي
٢ ــ فيهم ابو مالك بالمجد شرفني
ودنس العبد عبدالقيس سربالي

(٢٩)

قال يمدح زهير بن حيان بعد انتصاره على الترك :

(من الطويل)

١ ــ اتاك اتاك الغوث في برق عارض
دروع وبيض حشوهن تميم
٢ ــ ابوا ان يضموا حشوما تجمع القرى
فضمهم يوم اللقاء صميم
٣ ــ ورزقهم من رائحات تزينها
ضروع عريضات الخواصر كوم

(٣٠)

كان نيزك ينزل بقلعة باذغيس ، فتحين يزيد ابن المهلب غزوه ، ووضع عليه العيون ، فبلغه خروجه ، فخالفه يزيد اليها ، وبلغ نيزك فرجع ، فصالحه على ان يدفع اليه ما في القلعة من الخزائن، ويرتحل عنها بعياله ، فقال كعب بن معدان الاشقري :

(من البسيط)

١ ــ وباذغيس التي من حل ذروتها
عز الملوك فأن شاجار او ظلما
٢ ــ منيعة لم يكدها قبله ملك
الا اذا واجهت جيشاً له وجما
٣ ــ تخال نيرانها من بعد منظرها
بعض النجوم اذا ماليلها عتما
٤ ــ لما اطاف بها ضاقت صدورهم
حتى اقروا له بالحكم فاحتكما

٥ ـ فذل ساكنها من بعد عزته
يعطي الجزي عارفاً بالذل مهتضما
٦ ـ وبعد ذلك ايامـا تعددها
وقبلها ما كشفت الكرب والظلما
٧ ـ اعطاك ذاك ولي الرزق يقسمه
بين الخلائق والمحروم من حرما
٨ ـ يداك احداهما تسقى العدو بها
سماً واخرى نداها لم يزل ديما
٩ ـ فهل كسيب يزيد او كنائله
الا الفرات والا النيل حين طما
١٠ ـ ليسا باجود منه حين مدّهما
اذ يعلوان حداب الارض والاكما

(٣١)

قال في مديح يزيد بن المهلب

(من الطويل)

١ ـ والترك تعلم اذ لاقى جموعهم
ان قد لقوه شهاباً يفرج الظلما
٢ ـ بفتية كاسود الغاب لم يجدوا
غير التأسّي وغير الصبر معتصما
٣ ـ نرى شرائج تغشى القوم من علق
وما ارى نبوة منهم ولا كزما
٤ ـ وتحتهم قرّحٌ يركبن ما ركبوا
من الكريهة حتى ينتعلن دما
٥ ـ في حازةٍ الموت حتى جنّ ليلهم
كلا الفريقين ما ولى ولا انهزما

(٣٢)

قال كعب الاشقري في يزيد بن المهلب :

(مجزوء الكامل)

١ ـ أيزيد انك لم تزل
للازد مذ خلقت دعامه
٢ ـ اني الومك والذي
اصفيتني يحدو الملامه
٣ ـ ادعى الى الحرب العوا
ن ولست ادعى للمدامه

(٣٣)

وقال كعب الاشقري يهجو بريداً الايادي

اثبت بريد لوقع ذي لبد
يحمي التلاد ضبارم جهم
من مالك في الاكثرين حصىً
ووريث بيت المجد عن فهم
المانعين سوام جارهم
والحاملين عظائم الضرم
صيد تبارى في ارومتها
وتسير في الآفاق بالدهم
من كل خطّار فراسية
جهم المحيا ايدٌ البدم
في سوددٍ عورٍ يعاذبه
في الباس بعد سنائه ينمي
وانا ابن بيت المجد قد علموا
من مالك في باذخ فخم
هيهات منك بريد مأثرتي
حتى تدك قواعد الردم
وتسد ضوء الشمس اذ طلعت
وتلف بين النعش والنجم
ان الذين بهم تفاخرني
قدما قرناهم على الرغم
ازمان اذ كانوا لنا خولا
متقلدين ربايق البَهم
خضع الرقاب لنا اناوتهم
لا يدفعون يداً عن الظلم
وسليلهم باللؤم نعرفه
كالجحش فوق ذراعه الرقم
وترى لهم سيما تبينه
فوق الانوف كلائح الوشم
لما جعلت نبالكم غرضا
طاشت نبال العبد اذ يرمي
اني ورب منىً وما جمعت
يوم الحجيج واشهر الحرم
ومقام ابراهيم يمسحه
من كل اشعث ناحلَ الجسم
ما طاش سهمي اذ رميتكم
ولقد نسبتكم على علم

(٣٤)

وقال ابو الفرج : ونسخت من كتاب النضر ايضا . قال : ولى يزيد بن المهلب رجلا من اليحمد يقال له عمر بن عمير الزم . فلقيه كعب الاشقري فقال له : انت شيخ من الازد يوليك الزمّ ويولي ربيعة الاعمال السنية وانشده :

(من الوافر)

١ ــ لقد فازت ربيعــة بالمعــالي
وفــاز اليحمــدي بعهــد ذمّ

٢ ــ فــأن تــك راضياً منهــم بهذا
فــزادك ربنــا غمّــا بغــمّ

٣ ــ اذا الازدي وضــح عارضــاه
وكــانت امــه من حيّ جــرم

٤ ــ فثــم حماقــة لا شــك فيها
مقابلــة فمــن خــالٍ وعــمّ

(٣٥)

قال ابو الفرج ونسخت من كتاب النضر بن حديد لما عزل يزيد بن المهلب عن خراسان ووليها قتيبة بن مسلم مدحه كعب الاشقري . ونال من يزيد ونلبــه . ثم بلغته ولايــة يزيد على خراسان فهرب الى عمان على طريق الطبسين وقال :

(من الــوافر)

١ ــ وانــي تــارك مــروا ورائــي
الى الطبســين معتامــاً عمانــا (١)

٢ ــ لآوي معقــلا فيهــا وحــرزاً
فكنــا اهــل ثروتهــا زمانــا

(١) في بعض نسخ الاغاني معتام ..

(٣٦)

وقال كعب الاشقري وقد مر بقبر المهلب بن ابــي صفرة فنفرت ناقته فقال :

(من الــوافر)

١ ــ لحــاكِ اللهُ ياشرّ المطايــا
أعــن قبــر المهلب تنفرينــا

٢ ــ فلــولا انني رجل غــريب
لــكنت علــى ثــلاث تحجلينــا

١ ــ في الاشباه والنظائر ٢٣٤/٢ .. يابشر البرايا والمطايا اصوب
وفي معجم الشعراء/٤٦٩ امن باب المهلب
فلولا انني رجل طريد .. تعتيبنا

تخريج الاشعار

(١)

الابيات « ١ــ٥ » في البيان والبيتين ٣٥٩/٣

(٢)

الابيات « ١ــ١٠ » في تاريخ الطبري ٢٨٧/٦
والابيات « ٤ ، ٥ ، ٦ » في الاشباه والنظائر ١٨٠/٢ والحماسة البصرية ٣٤٥/٢ــ٣٤٦
وفي نهاية الارب ٤٠٤/١ وفي محاضرات الادباء ٣٥٢/٢ نسبت للاشعري وهو تحريف وبلا عزو في مجموعة المعاني/١٩٤ ، وعلق صاحب الاشباه والنظائر بقوله : وللشعراء في ذكر القلاع وصفاتها اشعار تكثر وتتسع ، ونحن نذكر منها ههنا شيئا مما نختاره ، فمن جيد ذلك قول كعب الاشقري او غيره من شعراء خراسان في ايام الفتوح يقول في قلعة افتتحها المسلمون .

(٣)

البيتان في البيان والتبيين ٢٣١/١ ومحاضرات الادبــاء ٨٤/١ وقد نسبا في المحاضرات الى كعب الاسدي وهو تحريف .

(٤)

البيتان في الاغاني ٢٩٨/١٤

(٥)

الابيــات « ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ » في النصف الثاني من كتاب الزهرة/٣٢٢ بلا عزو . والابيات « ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ » في حيوان الجاحظ ٤٢٨/٦ منسوبة الى كعب الاشقري . والابيات فيها تخليط كثير في نسبتها وعدد ابياتها واختلاف رواياتها وتحقيقها في ذيل الآلي /٤ والحماسة البصرية ٣٧/١ وتنظر في هامش كتاب الزهرة /٣٢٢ .

(٦)

البيتان في معجم الشعراء/٢٣٧

(٧)

البيت في محاضرات الادباء ٤٠٥/١

(٨)

الابيات « ١ــ٥ » في تاريخ الطبري ٤٨٠/٦

(٩)

الابيات « ١ــ٧ » في الاغاني ٢٩٢/١٤ــ٢٩٣

(١٠)

الابيات « ١ــ٤ » في الاغاني ٢٩٣/١٤ــ٢٩٤

(١١)

الابيات « ١ــ٤ » في حماسة البحتري/١٥٢

(١٢)

الابيات « ١ــ٨٢ » في تاريخ الطبري ٣٠٤/٦ــ٣٠٨
والابيات « ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦ ، ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ،

٢١ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٦١ » في الاغاني (الدار) ٢٨٤/١٤–٢٨٥ ، وقال عنها ابو الفرج وهي قصيدة طويلة قد ذكرها الرواة في الخبر ، فتركت ذكرها لطولها .

والابيات « ١ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٢٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٦١ » في شرح نهج البلاغة ٩/٢ه–٦٠

والابيات « ١ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٦١ » في السمط ٨٩/١ه . والبيتان « ٣١–٣٢ » في بلدان ياقوت ٧٣٨/٢ ، والابيات « ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ » في بلدان ياقوت ٥٧٦/٢

والابيات « ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ » في بلدان ياقوت ٦٦/٢ وينظر كامل المبرد /١١٢١ ، ١١٦٣ وزهر الاداب/٧٨٦ .

(١٣)

الابيات « ١–٧ » في الاغاني ٢٩٠/١٤

(١٤)

البيت في مجموعة المعاني/٣٥

(١٥)

الابيات « ١–٣٢ » في الاغاني ٢٩٥/١٤–٢٩٧ ، ٢٨٧ والبيتان الاول والثالث في معجم البلدان ٢٤٠/٤

والابيات « ٧ ، ٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ » ملفقة من قطعتين في شرح نهج البلاغة ٦١/٢ والابيات « ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ » في شرح القامات الشريشي. ٢١٢/٢ . والبيتان « ٢٧ ، ٢٨ » في معجم الشعراء/٢٣٦ .

(١٦)

الابيات في منتهى الطلب الورقة ١٨٧ أ ، ب ١٨٨

(١٧)

الابيات « ١–٦ » في الاغاني ٢٩٧/١٤–٢٩٨

(١٨)

الابيات « ١–٦ » في الاغاني ٢٩٦/١٤ وفي شرح نهج البلاغة ٦٢/٢ .

والابيات « ١ ، ٢ ، ٥ » في سرح العيون ١٧٠/١

(١٩)

الابيات « ١–٤ » في الاشباه والنظائر ٣٠٦/٢ والحماسة البصرية ١٥٣/١ وقال صاحب الاشباه والنظائر بعد رواية الابيات : البيت الاخير من هذه الابيات مدح مخرجه مخرج الذم وقد ذكره عبدالله بن المعتز في كتاب الفه ولقبه بكتاب البديع ، وهذا المعنى كثير في الشعر القديم والمحدث . واستشهد بابيات من الشعر (ينظر معاهد التنصيص٢١/٢–٣٢ والنويري٧/١٢٢)

(٢٠)

الابيات « ١–٣ » الاغاني ٢٨٩/١٤

(٢١)

الابيات « ١–٤ » في بلدان ياقوت ٦٦/٢

(٢٢)

الابيات « ١–٣ » في بلدان ياقوت ١٧٤/٢

(٢٣)

البيتان في بلدان ياقوت ٦/٣

(٢٤)

الابيات « ١–١٠ » في تاريخ الطبري ٤٧١/٦ والاول في معجم البلدان ٩٣٣/٣ ، والابيات « ١ ، ٤ ، ٥ ، ٧ » في الاغاني ٢٩٩/١٤ وفي رواية بعض الفاظها اختلاف والبيتان « ٤ ، ٥ » في بلدان ياقوت ٢٨٧/٢

والثامن في تاريخ الطبري ٤٧٢/٦

(٢٥)

الابيات « ١–٨ » والخبر في تاريخ الطبري ٣٩٧/٦–٣٩٨

(٢٦)

البيت في الاغاني ٢٩٥/١٤ ومحاضرات الادباء ٢٤٣/١

(٢٧)

الابيات « ١–٤ » في الاغاني ٢٨٩/١٤

(٢٨)

البيتان في الاغاني ٢٨٨/١٤

(٢٩)

الابيات « ١–٣ » في تاريخ الطبري ٥٤٩/٥

(٣٠)

الابيات « ١–١٠ » في تاريخ الطبري ٣٨٦/٦–٣٨٧

(٣١)

الابيات « ١–٥ » في تاريخ الطبري ٣٥٢/٦

(٣٢)

الابيات « ١–٣ » في الاشباه والنظائر ١٢/٢

(٣٣)

الابيات في منتهى الطلب الورقة ١٨٦ ، ١٨٧

(٣٤)

الابيات « ١–٤ » في الاغاني ٢٩٤/١٤

(٣٥)

البيتان في الاغاني ٢٩٢/١٤

(٣٦)

البيتان في الاشباه والنظائر ٢٣٤/٢ والحماسة البصرية ٢٣١/١ وفي هامشها قال المحقق : في نسخة عاشر : لحفص بن الاخيف الكناني ونسبا في معجم الشعراء للمرزباني /٤٦٩ للهيزدان بن خطار

مراجع التحقيق

الاصفهاني : ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي (ت ـ ٣٥٦)
١ ـ الاغاني . دار الكتب

البحتري : ابو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (ت ـ ٢٨٤)
٢ ـ الحماسة . بيروت ـ المطبعة الكاثوليكية
ت ـ لويس شيخو

البصري : صدرالدين بن ابي الفرج بن الحسين (ت ـ ٦٥٩)
٣ ـ الحماسة البصرية ـ اعتنى بنشرها الدكتور
مختار الدين احمد ـ حيدر آباد ـ ١٣٨٣ـ١٩٦٤

البكري : ابو عبيد الله بن عبدالعزيز (ت ـ ٤٨٧)
٤ ـ سمط اللآلي ـ تحقيق عبدالعزيز الميمني
مطبعة لجنة التاليف ـ ١٣٥٤ـ١٩٣٦ القاهرة

الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ـ ٢٥٥)
٥ ـ الحيوان ـ تحقيق عبدالسلام هارون
القاهرة ـ ١٩٤٨ـ١٩٥٠
٦ ـ البيان والتبيين . تحقيق حسن السندوبي
مطبعة الاستقامة ـ القاهرة ١٣٦٦ـ١٩٤٧

ابن ابي الحديد : ابو حامد عزالدين بن عبدالحميد (ت ـ ٦٥٥)
٧ ـ شرح نهج البلاغة ـ دار احياء التراث
اربع مجلدات في كل مجلد خمسة اجزاء

الخالديان : ابو بكر محمد بن هاشم (ت ـ ٣٨٠) وابو عثمان
سعيد بن هاشم (ت ـ ٣٩١)
٨ ـ الاشباه والنظائر من اشعار المتقدمين والجاهلية
والمخضرمين

الراغب الاصفهاني : حسين بن محمد (ت ـ ٥٠٢)
٩ ـ محاضرات الادباء ـ الطبعة القديمة . القاهرة ـ
١٢٨٧ تقريبا

الشريش : ابو العباس احمد بن عبدالمؤمن القيسي
(ت ٦١٩ أو ٦٢٠)
١٠ ـ شرح مقامات الحريري ـ نشر عبدالمنعم خفاجي
القاهرة ـ ١٩٥٢

الطبري : ابو جعفر محمد بن جرير (ت ـ ٣١٠)
١١ ـ تاريخ الطبري تحقيق ابو الفضل ابراهيم
دار المعارف ١٩٦٠ـ١٩٧١

المرزباني : ابو عبدالله محمد بن عمران (ت ـ ٣٨٤)
١٢ ـ معجم الشعراء ـ تحقيق احمد عبدالستار فراج
مطبعة البابي الحلبي ـ ١٩٦٠ القاهرة .

النويري : شهاب الدين احمد بن عبدالوهاب (ت ـ ٧٣٣)
١٣ ـ نهاية الارب ـ دار الكتب
القاهرة ـ ١٩٢٩

ياقوت الحموي : ياقوت بن عبدالله الرومي (ت ـ ٦٢٦)
١٤ ـ معجم البلدان ـ تحقيق فيستنفيلد ـ لايبزك
١٨٦٦ـ١٨٧٠

المخطوطات

مخطوطة منتهى الطلب الجزء الخامس لمحمد بن المبارك .
نسخة محفوظة في مكتبة الدكتور يحي الجبوري .